نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٨٧٤ — الله

التبصر فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبى المظفر عماد الدين الأسفرايني :

إن الله لا يجوز عليه الكيفية والكمية والأينية ، لأن من لا مثل له لا يمكن أن يقال فيه : كيف هو ؟ ومن لا عدد له لا يقال فيه : كم هو ؟ ومن لا أول له لا يقال له : م كان ؟ ومن لا مكان له لا يقال فيه : أين كان ؟

وقد جاء فيه عن أمير المؤمنين على (رضى الله عنه) أشفى البيان[1] حين قيل له : أين الله ؟

فقال : إن الذى أيّن[2] الأين لا يقال له : أين .

فقيل له : كيف الله ؟

فقال : إن الذى كيّف الكيف لا يقال له : كيف .

وسأله آخر : ما جهة وجه الله ؟ فأمر حتى أتى بشمعة فوضعها فى أنبوبة قصب ، فقال للسائل : ما وجه هذه الشمعة ؟ وبأى جانب مختص ؟

فقال له السائل : ليس بمختص بجانب دون جانب

فقال : فقيم السؤال إذن[3] ؟

(١) قلت : القول لقائله وقد أريدت تقويته بزوته .

(٢) هنا الفعل : (أين) مثل الفعل (كيف) — هو من المولد ، وقد جاء (التكييف) فى (التهج) كما جاء (الأزل) ولولا المولد ماسار العلم فى المدينة العربية الاسلامية ذلك السير .

(٣) قال صاحب التبصير : معناه إذا جاز أن يكون فى المخلوقات شىء لاختصاص له بجهة دون جهة ، فلا يجوز أن يكون خالق الخلق غير مختص بجهة دون جهة .

٨٧٥ — ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم

الفصل[1] فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم :

إن اليهود يقولون للدنيا أربعة آلاف سنة ونيف ، والنصارى يقولون : للدنيا خمسة آلاف سنة ، وأما نحن فلا نقطع على عدد معروف عندنا ، وأما من ادعى فى ذلك سبعة آلاف سنة أو أكثر أو أقل فقد كذب ، وقال ما لم يأت قط عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيه لفظة تصح ، بل صح عنه (عليه السلام) خلافه ، بل نقطع على أن للدنيا عمراً لا يعلمه إلا الله (عز وجل) قال الله (تعالى) [ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم] وقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « ما أنتم فى الأمم قبلكم إلا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود أو كالشعرة السوداء فى الثور الأبيض » هذا عنه (عليه السلام) ثابت ، وهو (عليه السلام) لا يقول إلا عين الحق ، ولا يسامح بشىء من الباطل ...

٨٧٦ — أثر العربية والأدب في يهودى

عيون الأخبار لابن قتيبة : ... أبو العيناء قال : كان بالبصرة لنا صديق يهودى ، وكان ذا مال ، وقد تأدب وقال الشعر ، وعرف شيئاً من العلوم ، وكان له ولد ذكور ، فلما حضرته الوفاة جمع ماله وفرقه على أهل العلم والأدب ، ولم يترك لولده ميراثا فعوتب على ذلك فقال :

رأيت مالى أبرّ من ولدى فاليوم لا نحلة ولا صدقه
من كان منهم لها فأبعده الله ومن كان صالحاً رزقه

٨٧٧ — فلو أتى رقيته ما عرفته

تتمة اليتيمة : أبو الحسن محمد بن الحسين الصنانى قال :

أنشدنى ابن المغربى الوزير لنفسه فى بلوغ النهاية من السلوة ، ولم أسمع فى معناه أبلغ منه :

حبيب ملكت الصبر بعد فراقه على أننى علقته وألفتـــه

(١) الفصل فى اللغة جمع الفصلة ، فى اللسان : الفصلة النخلة المنقولة المحولة وقد افتصلها عن موضعها ، خير النخل ما حول فنبله عن منبته ، والفسيلة المحولة تسمى الفصلة ...

عما حسنُ يأسى شخصه من تفكرى
فلو أننى لافيتـــه ما عرفته

٨٧٨ — اقعد ، اجلس

وفيات الأعيان : هو (أى ابن خالويه) القسائل : دخلت يوماً على سيف الدولة بن حمدان ، فلما مثلت بين يديه قال لى : اقعد ، ولم يقل : اجلس ، فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب واطلاعه على أسرار كلام العرب . وإنما قال ابن خالويه هذا لأن المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم : اقعد ، وللنائم والساجد : اجلس ، وعلله بعضهم بأن القعود هو الانتقال من العلو إلى السفل[1] ، ولهذا قيل لمن أصيب برجليه : مقعد ، والجلوس هو الانتقال من السفل إلى العلو ، ولهذا قيل لنجد : جلساء لارتفاعها وقيل لمن أتاها : جالس ، وقد جلس ، ومنه قول مروان بن الحكم لما كان والياً بالمدينة يخاطب الفرزدق :

قل للفرزدق والسفاهـــة كاسمها
إن كنت تاركه ما أمرتك فاجلس

أى أقصد الجلساء ، وهى نجد[2] .

٨٧٩ — أمر لا يدرك إلا بالذوق

ابن أبى الحديد : إن معرفة الفصيح والأفصح ، والرشيق والأرشق والحلو والأحلى والعالى والأعلى من الكلام — أمر لا يدرك إلا بالذوق ، ولا يمكن إقامة الدلالة النطقية عليه ، وهو بمنزلة جاريتين إحداهما بيضاء ، مشربة حمرة ، دقيقة الشفتين ، نقية الثغر ، كحلاء العينين ، أسيلة الخد ، دقيقة الأنف ، معتدلة القامة . والأخرى دونها فى هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى فى العيون والقلوب منها وأليق وأصلح ، ولا يدرى لأى سبب كان ذلك . ولكنه بالذوق والمشاهدة يعرف ، ولا يمكن تعليله .

وهكذا الكلام ، نعم يبقى الفرق بين الموضعين أن حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة وأما الكلام فلا يعرفه إلا أهل الذوق ، وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة أو بالفقه كان من أهل الذوق ، وممن يصلح لانتقاد الكلام ، وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان ، وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر ، وصارت لهم بذلك دربة وملكة تامة . فإلى أولئك ينبغى أن ترجع فى معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض إن كنت عادماً لذلك من نفسك .

٨٨٠ — يا ظبية البان ترعى فى خمائله

فى (الغيث الذى انسجم فى شرح لامية العجم) للصفدى :

« ما من شاعر فى الغالب إلا وقد عارض الشريف الرضى فى قصيدته التى أولها :

يا ظبية البان ترعى فى خمائله ليهنك اليوم إن القلب مرعاك

وما منهم من رزق سعادته » .

قلت : هذه أبيات منها ، قال بعد المطلع :

الماء عندك مبذول لشاربه وليس يرويك إلا مدمع الباكى
هبت لنا من رياح الغور رائحة بعد الرقاد عرفناها برياك
حكت لحاظك ما فى الريم من ملح
يوم اللقاء فكان الفضل للحاكى[1]
كأن طرفك يوم الجزع يخبرنا بما طوى عنك من أسماء قتلاك
أنت النعيم لقلبى والعذاب له فيا أمرّك فى قلبى وأحلاك
سهم أصاب ورامیه بذى سلم من بالعراق لقد أبعدت مرماك
عندى رسائل شوق لست أذكرها
لولا الرقيب لقـــد بلغتها فاك
لو كانت اللمة السوداء من عددى
يوم النعيم لما أفلت أشراكى[2]

---

(١) بضم السين وكسرها وسكون الفاء .

(٢) التاج : قال الأصبهانى فى المفردات وتبعه المصنف (صاحب القاموس) فى البصائر : إن الجلوس إنما هو لمن كان مضطجعاً والقعود لمن كان قائماً باعتبار أن الجالس لمن كان يقصد الارتفاع أى مكاناً مرتفعاً ، وإنما هذا يتصور فى المضطجع ، والقاعد بخلافه فيناسب القائم .

(١) التاج : ملح ككرم يملح ملوحة وملاحة وملحا فهذه ثلاثة مصادر الأول هو الجارى على القياس والثانى هو الأكثر فيـــه ، والثالث أولها .

(٢) النعيم — بفتح أوله وكسر ثانية — موضع بين مكة والمدينة (معجم البلدان) . أفلته وأفلت منه .